

سبيل الصحافة

للاستاذ إبراهيم عبد القادر المازن

—

فرغت من عملي ، فوضعت القلم ، ونهضت عن المكتب وبحثت أتمشى ، فلقيني زميل فسألني :

« كيف ترى الخبر الفلاني ؟ »

قلت : « عظيم . وقد جعلته موضوع مقالى اليوم »

قال : « أنا جئت به »

قلت : « أمتك . فمن أعطاكه ؟ »

قال : « قد والله سرقتة ! »

فضحكت وقلت : « اللص الشريف ! »

وهمت بالانصراف عنه ، بعد أن أثبتت عليه بالذى هو أهله .

فقال : « بودى أن أعرف رأى الوزير فيما صنعت ، وما أظن إلا أنه مغيظ عنق »

فقلت : « إن الخبر للنشر على كل حال ، والخلاف بينك وبين الوزير على موعد النشر ، وليس هذا الخلاف بالذى يثير الغضب » وأقبل فى هذه اللحظة زميل آخر فألقيت إليه خلاصة الحديث وقلت :

إن الجريمة ليست فى ارتكابها ، بل فى افتضاها . ونحن اليوم نحرم السرقة ، ونقول قوانيننا إنها محظورة ، وإن عقابها كبت وكبت ، ولكن (ليكرغ) فى إسبارطة القديمة كان يذهب مذهبا آخر فيقول بأن لك أن تسرق على ألا يتكشف أمرك ، فإذا انكشف كان عقابك صارما . والنتيجة واحدة ، فإن السارق الذى يستطيع أن يستر فعلته لا يصيبه شيء ، وما يعاقب إلا الذى يعجز عن إخفاء ما صنع ، ويثبت عليه ارتكاب الفعل

ووجه آخر للسألة : زميلنا هذا قد سرق شيئا — لم يسرق خبزا لياكل ، ولا مالا لينفق على نفسه وعلى عياله ، أو ليوسع رزقه ، ولكنه مع ذلك سرق شيئا فى سبيل رزقه ، فإن رزقه يتطلب منه أن يوافق الجريدة بظائفة صالحة من الأخبار التى تمنى

القراء ، وصاحب الجريدة لا يكلفه السرقة ، ولو فعل لكان هذا منه شططا غير مقبول ، وأمرأ لا يطاع ، ولكن الزميل مع ذلك رأى أن قيامه بواجبه يبيح له استقاء الأخبار بهذه الطريقة الموجاه ، وهو — كما تعلم — سنى متدين ، غير أن كونه سنيا ومتدينا لم يمنعه أن يقدم على سرقة صريحة لا سبيل إلى المكابرة فيها ، من أجل الرزق . ولو أنه كان قد سرق رقيقا أو بيضة لكان جزاؤه ما يبينه قانون العقوبات . وعذر الذى يسرق الرغيف ليسكت « معدة ثعلبها لاص » ، وتارة أرنبها ضاغب » كما يقول ابن الروى فى قصيدته الشهورة لابن الحاجب ، أوضح ممن يسرق ولا جوع به ولا خلة ، وإنما يريد أن يستديم الرضى من صاحب عمله . ولو جئت بسارق الرغيف ، وسارق المذكرة من الوزير أو أعوانه وسقتهما إلى القضاء ، لكان للمحقق أن يحكم على سارق الرغيف ، وأن يبرى سارق المذكرة . وقد يرى القاضى أن الفاقة « ظرف مخفف » — كما يقول رجال القاتون — ولكن لن يكون عنده « ظرفا مبرئا »

وسارق المذكرة يستطيع وهو آمن أن يباهى بعمله ، وأن يتخذ من قدرته على مثله شهادة مزكية له ، ووسيلة للرفع من شأنه . وكل صاحب جريدة يسمع بجرمته يتمنى لو أن أخانا المجرم كان يعمل له ، بل يتمنى لو كان كل من يعمل فى جريدته على مثاله . ولكن سارق الرغيف بماذا يباهى ؟ أبقره ؟ أم بمجزئه عن الكسب ؟ أم بما وصمه به القانون ؟ أم بما نزل به من السجن ؟ وكل صاحب عمل يزهد فيه ويخاف منه وينبى أن يكون عنده مثله ؟ وقد يدركه عليه العطف ، ولكنه لا يطمئن إليه . وإنه ليعلم أنه ما أغراه بالسرقة إلا الجوع وقلة الحيلة وانقطاع الوسيلة ؛ وإنه ما كان ليفعل ما فعل لولا ذلك ؛ ولكن الشكوك مع ذلك تظل تساوره وتقاوم شعور العطف وتغالب رحمة القلب ، بل منطق العقل

وأحسب أن الصحافة مدرسة لتعليم هذا الضرب من السرقة ولست أعرف صحفيا واحدا أتيت له فرصة سرقة وأحجم عنها أو تردد . وما أبرئ نفسي ولا أنا أستثنى . وهذا وليس عملى فى الصحافة — ولا كان قط — أن أستنى الأخبار ، ولكن

ولكن المدينة استطاعت أن تنتفع
بروحها في الفرد وتسخرها لخير
الجماعة

كذلك تفعل الصحافة، حين
تستغل فضول الإنسان فتتولى
جمع ما يعنيه وتشره على الناس.
وقد خرج الأمر عن أصله،
حتى لصار يبدو كأنه منقطع الصلة
به. ومن الذي يجرؤ أن يقول:
إن الصحافة لا هم لها إلا إرضاء
فضول الإنسان بعد أن أصبحت
تسمى « السلطة الرابعة ؟ » .
ومن ذا الذي يذمها من أجل
أنها تصل إلى أخبارها بما يسم
رجالها من حيل، ويدخل في
طوقهم من وسائل وإن كان
بينها السرقة، بل شراء الدم
بكل ما تشتري به من طيب
وذم — أي بالخداع، واللق،
والمدح، والصدقة، وتبادل
المنافع، لا بالمال وحده كما قد
يتوهم البعض، فإن الرشوة
الصرحة وسيلة يندر الالتجاء
إليها ...

وهكذا جملت الصحافة من
السرقة عملاً محموداً، ومن
متركها لصاً شريفاً ! ولا عجب
فإن خدمة الأمة تكلف أبناءها
تعاطى ما يعده العرف ردائل
وآثاماً، وتحمده منهم ذلك،
وتجزئهم عليه أحسن الجزاء
إبراهيم عبد القادر المازني

من رجبنا الذي

هأنذا أهبط إلى رجب العاجي مع الشتاء، في الوقت الذي
يهبط فيه « الأب نويل » مع عيد الميلاد. إنى أرى لحيته الطويلة
البيضاء تمتد لتلتف حول الكوكب الأرضي. لقد كان طرفها
بالأمس في بلاد الجليد، فإذا هي اليوم في بلاد الشمس والهلل.
لقد طفت بالمدينة فرأيت عجبا. لقد انقلبت القاهرة رأساً على
عقب. أنوار وأعلام، وزينات وأفراح، والناس جميعاً مشغولون
باعداد سهرات العيد. الشرقيون قبل الغربيين يتسابقون إلى
الاحتفال بعيد ليس عيدهم، ولكمهم يريدون تقليد الأجانب.
بل إنى لأعرف بيوتاً وأسراراً شرقية مسلمة تقيم في منازلها
« شجرة الميلاد » أسوة بالأوروبيين. نعم. لقد ذهبت أعياد
الشرق فلم يعد أحد يأبه لميد الأُخى أو الهجرة أو ليالي رمضان.
إن أعيادنا تقبل علينا فلا نبسم لها ولا نخرج لاستقبالها. إنما
نحبس أنفسنا في بيوتنا كأننا نخجل منها ومن أنفسنا. فإذا
جاءت أعياد الأجانب أسرنا فخرجتنا لها باشين مهللين. نحن في
بلادنا نشارك الأجنبي في أعياده، وهو على أرضنا لا يشاركنا في
أعيادنا. وبذلك أهفمناه وعلنا آتنا وأطفأنا منذ الصغر ازدهار
ما هو شرقي واحترام ما هو غربي. وهكذا أثبتنا للعالم أن مجرد
وطء أقدام الأوربي أرضنا كاف أن يزلزل حصوننا للمنية. نعم
ما كان الغربي يتصور أن الشرق ينبذ من أجله حتى أفراجه
التاريخية العريقة بألوانها الزاهية وطابعها الأصيل. إنى ليخيل
إلى أن الغربي ذاته، ذلك الضنين بتقاليد، الحريص على تجميل
خرافاته، يدهش لرؤيته وجه الشرق قد انطمت ملامحه بهذه
السهولة، وضاعت معالمه من الرؤوس والنفوس، وزال رسمه الحقيقي
إلا من تلك الصفحات الرائعات التي سطرها أمثال بيرلوتي
وجيراردى زفال من الأوروبيين أنفسهم الذين أعجبوا بالشرق
يوم كان الشرق يحتفظ برداء شخصيته فلا يخلعه ليجرى عارياً
كالشحاذ خلف الغرب. إنى لم أرقط باعتنا التجولين يصيحون
« برانس مولد النبي » في الطرقات ولكنهم صاحوا بالبارحة
بنداء شق القضاء: « الأب نويل بقرش أبيض ! الأب نويل
بقرش أبيض ! ». وبهذا تم لذى اللحية البيضاء غزو الشرق
توفيق الحكيم

كل عمل في الصحافة رهن
بالأخبار، فصلته بها أو وثق مما يبدو
للرء، وإن خيلت غير ذلك.
وإنك تترى الصحفي « حنبلياً »
في كل شيء إلا حين يحتاج إلى
الوقوف على خبر، وإذا بالذمة
تسع، وإذا كل شيء جازر في
سبيل الوصول إلى هذا المستور
أو المكتوم؛ ثم لا أسف ولا
ندم ولا توبة. وأكبر الظن أن
تسقط الأخبار في الطباع، وأن
الإنسان فضولى بفطرته. فإذا
كان هذا هكذا فإن الصحافة
لا تصنع أكثر من تنظيم الأمر
وتوجيه وجهه المصلحة العامة
لخير الجماعة. والصحافة من ثمرات
الحضارة، فهي تصنع كالحضارة —
أعني أنها تعمد إلى التراث والفطر
الساذجة فتصقلها وتهذبها وتنظمها
وتجرمها في مجار معينة، فيصلح
أمر الجماعة ويستقيم حالها. مثال
ذلك أن الرجل كان يخطف المرأة التي
كانت تروقه أو يسبها، ثم يحتازها
ما دام راغباً فيها ويحارب دونها؛
وهو الآن يتزوجها، ولا يحتاج
إلى الخطف أو الحرب دونها،
وإن كان ربما احتاج أن يمانى
متاعب المنافسة من الخطايا،
أو الراغبين فيها غيره. ومثاله
أيضاً أن الأثرة والأنانية قد اتخذتا
مظهر الوطنية أو القومية، ولم
تذهب الأثرة ولم يبرأ منها الفرد،